



بعد تهديده تركيا بدفع 'ثمن غال' لدعمها المعارضة السورية يأتي لقاء الرئيس السوري بشار الأسد المنشور بصحيفة 'دير شبيغل الألمانية' لينفي إمكان الوصول لحل للصراع الجاري في سوريا عبر المفاوضات، لأن المعارضة السورية حسب تعريفه ليست معارضة 'لأن لديها أسلحة'!

هجمة التصعيد السياسي التي يقوم بها الرئيس السوري مدروسة جيداً فقد انطلقت بداية من تركيا، البلد الذي كان أول من فتح أبوابه أمام المعارضة السورية، لاعباً على أوتار الخلافات السياسية في تركيا ومزوداً الأعداء السياسيين لحزب العدالة والتنمية ورئيسه رجب طيب أردوغان بورقة جديدة للتحريض ضدهما.

ثم اتجه الأسد بعدها إلى ألمانيا، الخاصرة الطرية في الموقف الأوروبي تجاه نظامه، التي لعبت، منذ انطلاق الثورة السورية، دوراً غير مباشر لإعاقة التحركات البريطانية والفرنسية الأكثر حزماً وشدة في التعامل مع النظام، وبذلك يقدم الأسد للأطراف المختلفة مع سياسات بريطانيا وفرنسا الخارجية أيضاً مناسبة إعلامية جديدة لإعادة تكرير واستهلاك الوصفات الإعلامية المفضلة التي يلعب عليها النظام السوري، من إدعائه المشين بحماية الأقليات (وهو المفترض أن يحمي شعبه كله)، إلى المفاضلة بينه وبين تنظيم 'القاعدة'، وصولاً إلى دفاعه الركيك عن عدم مسؤولية نظامه عن الهجوم بالسلاح الكيماوي في غوطة دمشق بدعوى أن لا أحد يستطيع أن يقطع بأنه تم استخدام صواريخ.

السر وراء هذه الهجمة الدبلوماسية والإعلامية هو:

أولاً، انحسار الضربة الأمريكية ضد الآلة العسكرية للنظام، بعد المناورات الدبلوماسية الأمريكية الروسية والتي أدت في النهاية إلى صدور القرار الأممي 2118.

ثانياً، تحول النظام السوري من مجرم حرب مهدد بالعقاب إلى شريك للمجتمع الدولي بصفة تسليم الكيماوي السوري بالتقسيط المريض، بحيث تحول أسبوع كيري لتسليم الأسلحة الكيميائية إلى 10 أشهر طويلة، تنتهي مع منتصف العام المقبل بالتزامن مع موعد انتخابات الرئاسة السورية.

ثالثاً، الأجواء التي أشاعها غزل الرئيسين الأمريكي والإيراني خلال اجتماعات الجمعية العامة للأمم المتحدة بنيويورك بتوجّه نحو صفة تضمن لإيران دورها الإقليمي في المنطقة مقابل منع تصنيعها قنبلة نووية، وهو ما أثّر أيضاً في وزن ومصداقية حلفاء أمريكا العرب الداعمين للمعارضة السورية.

رابعاً، اشتداد قوة التنظيمات الإسلامية الجهادية وخصوصاً تنظيم 'الدولة الإسلامية في العراق والشام' الذي بدأ بخوض معارك ضد ألوية الجيش السوري الحر، كما هدّد تركيا بالقيام بهجمات ضدّها، وهو الأمر الذي أعطى زخماً كبيراً لدعائية النظام الخارجية، وفتّ في عضد الجيش السوري الحر والمعارضة السورية عموماً.

خامساً، تراجع تأثير المعارضة السياسية السورية المجتمعية تحت راية 'الائتلاف السوري' على تشكيلات الداخل العسكرية بعد انفصال عدد من الألوية والتشكيلات العسكرية المعارضة المسلحة عنه واعتباره لا يمثلها.

اعتبر بشار الأسد أن تنسيق 'المجتمع الدولي' معه (حتى لو كان الثمن استسلامه التام في موضوع عتاده الكيميائي) نوعاً من الاعتراف به وبدوره، بل افترض، على الأغلب، أن ما جرى من تدمير لبلده وإبادة شعبه إنجازاً عبقرياً له.

يشبه ما قام به الأسد عمل خيميائي القرون الوسطى الذين اجتهدوا لتحويل المعادن الخسيسة إلى ذهب فالرئيس السوري أجزَّ المعادلة الخيميائية المستحيلة: قم بإبادة شعبك بالسلاح الكيماوي فتحوّل فجأة إلى شريك دولي وبطل إعلامي. بهذا التصور الجديد لاعادة تأهيله دولياً ظهر الأسد على تلفاز تركيًّا مهدداً البلد الذي يستضيفه، واسترخي مجدداً في صورة العقريِّ الذي يعيد تعريف الأشياء في العالم في صحيفة 'دير شبيغل'.

تعريف الأسد للمعارضة يتناسى عامداً كل المعارضات المسلحة في العالم، من الثورة السورية التي أجزَّت الاستقلال الأول، والمعارضة الفيتنامية، والمعارضة الجزائرية ، والمعارضة الأمريكية أثناء حرب الاستقلال عن بريطانيا، والمقاومة الفرنسية ضد الاحتلال الألماني، والمقاومة الفلسطينية المسلحة لإسرائيل، وأخيراً لا آخرأ، يتناسى مقاومة حزب الله المسلحة التي يتنفّن النظام بالتحالف معها.

في عالم تحول فيه الإبادة الجماعية للبشر إلى بطولة وتحوّل وارث للسلطة بقوة المخابرات فيلسوفاً سياسياً جديداً يتلاعب بالمعاني السياسية والأخلاقية التي كدّ مئات الملايين من البشر ليؤسسوها، يحقّ لبشار الأسد أن يفعل ويقول ما يشاء.

المصادر: